

السنن الإلهية في سورة الأحزاب (دراسة موضوعية)

أسامة محمد عبد الكريم

ديوان الوقف السني / دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية / قسم البحوث

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث موضوع السنن الإلهية في سورة الأحزاب، وتكمن أهميته من جانبين: الأول يتعلق بأهمية فهم السنن الإلهية في حياة الإنسان، إذ إنها قوانين ثابتة لا تتغير. أما الجانب الثاني، فهو أن موضوعات سورة الأحزاب ترتبط بشكل مباشر مع واقع المسلمين اليوم، إذ أن الأعداء لا يزالون يتجمعون على عداوة الإسلام والمسلمين. في هذا السياق، تقدم سورة الأحزاب سنناً إلهية ثابتة تُعتبر بمثابة خطة محكمة لتحمل الأمانة التي حملها الله للإنسان، وذلك من خلال الاقتداء بأخلاق النبوة، والتمسك بالصدق في الإيمان، واليقين بوعده الله ووعيدته. كما تشير السورة إلى مكانة أهل بيت النبوة، الذين أراد الله تطهيرهم من مساوئ الأخلاق وتزويدهم بمحاسنها، فالتخلى عن الرذائل والتحلية بالفضائل هما طريقا الترقية والتشريف، على قدر التكليف. وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن القرآن وأهل البيت لا يفترقان إلى يوم القيامة. ولذلك، أراد الله تطهيرهم، وهو ما سنناقشه بشكل مفصل في هذا البحث.

الكلمات المفتاحية: السنن الإلهية، سورة الأحزاب، القوانين الثابتة، فهم الواقع، الأمانة الإنسانية، أخلاق النبوة، الصدق في الإيمان.

Abstract:

This research addresses the topic of divine laws in Surah Al-Ahzab. Its importance lies in two aspects: First, the significance of understanding divine laws in human life, as they are constant and unchanging principles. Second, the themes of Surah Al-Ahzab are directly relevant to the reality of Muslims today, as enemies continue to unite against Islam and Muslims. In this context, Surah Al-Ahzab presents immutable divine laws that serve as a sound plan for fulfilling the trust God has placed in humanity. This is achieved through emulating the ethics of the Prophet, adhering to truthfulness in faith, and having certainty in God's promises and warnings. The Surah also highlights the status of the Prophet's family, whom God sought to purify from moral failings and endow with virtues. Thus, abandoning vices and cultivating virtues are the paths to advancement and honor, commensurate with one's responsibility. The Prophet (peace and blessings be upon him) clarified that the Quran and the Prophet's family will remain inseparable until the Day of Judgment. Therefore, God sought to purify them, a matter we will discuss in detail in this research. **Keywords:** Divine laws, Surah Al-Ahzab, immutable laws, understanding reality, human integrity, prophetic ethics, sincerity in faith.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه، أما بعد فإن أصدق الكتب وأحسنها القرآن العظيم، ذلك أنه من لدن حكيم خبير، فعلموه وعجائبه لا تنتهي، ولكل مجتهد في تدبره نصيب، فمن أصاب له أجران، ومن أخطأ له أجر واحد! ومن علومه وحقائقه الثابتة السنن الإلهية، قال تعالى فيها: (فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا) [سورة فاطر: ٤٣]. هذه السنن ماثورة في القرآن، وخاصة ما يتعلق بالنفس الإنسانية والاجتماع البشري، فأما السنن المتعلقة بالكونيات فقد أشار إليها القرآن على جهة الإجمال وساقها للاستدلال على حقائق مسائل الألوهية والنبوات.

أولاً: سبب اختيار الموضوع:

أردت بهذا الموضوع إبراز السنن الإلهية وتذكير أنفسنا بها، عسى أن تكون برنامجاً عملياً في حياتنا؛ لأجل التغيير والنهضة في مجتمعاتنا وأمتنا.

ثانياً: أهمية الموضوع:

بدأ اهتمامي بالسنن الإلهية في القرآن منذ إعداد رسالة الماجستير التي بحثت موضوع السنن الإلهية تأصيلًا؛ لهذا أقدم بحثًا في السنن الإلهية، واخترت سورة من سور القرآن لأبحث السنن الواردة فيها، وقد جرت العادة أن يُختار موضوع من الموضوعات فتُدْرَس سننه الإلهية، فعدلت عن ذلك بغرض كشف المناسبة والعلاقة بين سنن السورة الواحدة، واخترت سورة الأحزاب؛ لأنها متوسطة الطول، وفيها سنن إلهية ذات أهمية كبيرة في حياة المسلمين، وخاصة في هذا العصر الذي تجتمع فيه أحزاب العالم على عداوة المسلمين كما اجتمع الأحزاب على عداوة النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، ولكن خابث ظنونهم وانهزمتم فلولهم، ولن تتبدل هذه السنة الإلهية ما دام هناك مؤمنون صدقوا ما عاهدوا الله عليه!

ثالثًا: الدراسات السابقة:

الدراسات المتعلقة بسورة الأحزاب كثيرة، من يبحث في (جوجل) يجدها، وكما ذكرتُ أن لكل مجتهد نصيبًا، فالمادة العلمية واحدة، ولكن الغرض والطريقة والكتابة تختلف، فهي أنفاس والله القابض الباسط والجامع المانع، نسأله السداد والصلاح، كما قال في هذه السورة: (وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ) [سورة الأحزاب: ٧٠، ٧١].

رابعًا: منهج البحث:

المنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي، حيث استقرأت جميع آيات السورة فاخترت منها ما يرتبط بالسنن، ومسألة الفصل بين آيات القرآن من جهة الموضوعات دقيقة قد يتعذر في كثير منها؛ لأنَّ للقرآن طريقة فريدة في سرد الموضوعات، فتجد في الآية الواحدة عدة موضوعات في الألوهية والنبوة والكونيات والإنسانيات وغير ذلك! فنبحث ونفرز الآيات من باب سدودا وقاربوا، وتبقى طريقة القرآن هي الطريقة المثلى المعجزة للبشر!

خامسًا: خطة البحث:

جاءت خطة البحث في: (مقدمة، وتمهيد، وخاتمة، وفهرس للمصادر)، وكالتالي: المقدمة تضمّنّت سبب اختيار الموضوع، وأهميته، والدراسات السابقة، والمنهج، وخطة البحث.. التمهيد: يشتمل على تعريف السنن الإلهية، وفيه ثلاثة مطالب.. **المبحث الأول:** السنن الإلهية المرتبطة بالنبي ﷺ، وفيه ستة مطالب.. **المبحث الثاني:** السنن الإلهية في أهل بيت النبوة، وفيه أربعة مطالب.. **المبحث الثالث:** السنن الإلهية في المنافقين، وفيه خمسة مطالب.. **المبحث الرابع:** السنن الإلهية في المؤمنين، وفيه أربعة مطالب.. **المبحث الخامس:** سنّة الأمانة التي حمّلها الله تعالى الخلق، وفيه ثلاثة مطالب.. **الخاتمة والتوصيات:** تناولت نتائج البحث وتوصياته.

التمهيد: التعريف بالسنن الإلهية

المطلب الأول: التعريف اللغوي:

السنّة تعني الطريقة أو السيرة أو العادة، وعندما نقول: "سنّة النبي صلى الله عليه وسلم" فإننا نقصد الطريقة التي كان يتبعها في حياته. أمّا "سنّة الله"، فهي تشير إلى طريقته في حكمه، وكذلك طريقة طاعته^(١). جاء في "لسان العرب": "سنة الله: هي أحكامه وأوامره ونواهيه، وسنّها الله للناس: أي بيّنّها لهم، وسنّ الله سنة: أي أظهر طريقًا قويًا". وقد ورد في قوله تعالى: (سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ) [الأحزاب: ٦٢]، حيث نصب "سنة الله" على إرادة الفعل، أي: أن الله قد سنّ ذلك فيمن جحدوا الأنبياء أو أرجفوا بهم، وأوضح لهم كيف يُعاملون عند مخالفة الحق^(٢).

المطلب الثاني: التعريف الاصطلاحي:

تطلق السنّة في الاصطلاح على عدة وجوه:

أولًا: يراد بها عند الأصوليين المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، فعُرِفَتْ عندهم بأنها: "ما صدر عن الرسول ﷺ من الأدلة الشرعية، مما ليس بمثلوه، ولا هو معجز، ولا داخل في المعجز"^(٣).

ثانيًا: ويراد بها عند أهل الحديث: "أقوال النبي ﷺ، وأفعاله، وتقريراته، وصفاته الخلقية والخلقية، وزاد بعضهم: وأقوال الصحابة والتابعين، وأفعالهم"^(٤).

ثالثًا: ويراد بها عند الفقهاء: "ما طلب الشرع فعله من المكلف طلبًا غير لازم"^(٥).

المطلب الثالث: التعريف بالمركب الإضافي السنّة الإلهية:

السنّة الإلهية مركب إضافي، وتقدم في التعريف اللغوي قول ابن منظور: وسنّة الله: أحكامه وأمره ونهيه. وقد وردت إضافتها في القرآن إلى الله تعالى، كقوله: (سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) [سورة الأحزاب: ٦٢]. وجاءت مضافة إلى الأولين، كقوله: (قُلْ لِلَّذِينَ

كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنتُ الْأَوَّلِينَ [سورة الأنفال: ٣٨]. وجاءت مجردة عن الإضافة، كقوله: (قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) [سورة آل عمران: ١٣٧]. وبعد استقراء كلمة السُّنَّة في القرآن تبين أنها وردت ست عشرة مرة، في إحدى عشرة آية، جاءت مرة مجموعة، ومرة أخرى مفردة، وجاءت مرة مضافة، ومرة أخرى مجردة عن الإضافة، وقد تبين من خلال ذلك أنها جاءت بمعنيين اثنين في القرآن: الأول: وقائع الهلاك بالمكذبين للرسول. والثاني: المناهج والشرائع في الأمم السالفة، وبناءً على ذلك يمكن تعريف السنة الإلهية كمركب إضافي بأنها: "حكم الله المطرد في المكوّنات". وقد توصلت إلى هذا التعريف بعد بحث السنن الإلهية في رسالة الماجستير^(٦).

المبحث الأول: السنن الإلهية المرتبطة بالنبي ﷺ

المطلب الأول: مخاطبة النبي ﷺ بصفة النبوة وترقيته في الكمالات الربانية:

خاطب الله تعالى الأنبياء بأسمائهم، ولكن خصّ النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم بأن خاطبه بصفاته؛ وذلك إظهاراً لشرفه وعلو مكانته. فبدأت سورة الأحزاب بمخاطبته بصفة النبوة، حيث قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنْ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنْ كَانَ اللَّهُ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا) [الأحزاب: ١-٣]. وقد أشار الأمر بالتقوى في هذه الآيات إلى أن الترقّي في الكمالات لا حدود له، كما قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) [طه: ١١٤]، فالعلم لا يتناهى، وكذلك الفيوضات الربانية التي لا تنقطع على النبي صلى الله عليه وسلم. ومن بين تلك الفيوضات، أمر الله تعالى بصلاته على نبيه صلى الله عليه وسلم، حيث قال: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) [الأحزاب: ٥٦]. وهذه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من كرامات الله تعالى عليه، وقد جعلها وسيلة للقرب منه، حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا»^(٧). وقد وردت آثار عديدة في فضل هذه السنة الربانية التي خص الله بها عباده المؤمنين. وتشير هذه الآيات إلى المنهج القويم الذي يحفظ المؤمنين من الزلل ويرتقي بهم في درجات الكمال، وهو الالتزام بالوحي، والتقوى، وعدم اتباع الكافرين والمنافقين الذين لا يودون للمؤمنين خيراً. وقد بين القرآن الكريم صفات هؤلاء المنافقين وتوجهاتهم الخبيثة، مؤكداً أن من يتقي الله ويتوكل عليه فهو في حفظه ورعايته. كما قال تعالى: (وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا) [الأحزاب: ٣]، وقال في سورة الطلاق: (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا) [الطلاق: ٢-٣]. ومن السنن الإلهية الثابتة أن القلب لا يمكن أن يتجه في اتجاهين في آن واحد. قال تعالى: (مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِيْ جَوْفِهِ) [الأحزاب: ٤]. فلا يمكن أن يكون في قلب الإنسان إيمان وكفر في الوقت ذاته، أو خير وشر، أو صالح وطالح. حتى المنافق لا يستطيع أن يوفق بين الإيمان والكفر في قلبه، فالنفاق هو إظهار الإسلام مع إبطان الكفر، ولهذا فإن المنافقين لا يفلحون في سلوكهم، لأنهم لم يسلكوا الطريق المستقيم الذي يرتقي بهم إلى الكمال.

المطلب الثاني: صفات النبي ﷺ:

ذكر القرآن للنبي ﷺ خمسة أوصاف في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا وَبَشِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا) [سورة الأحزاب: ٤٥ . ٤٨]. هذه أوصاف خمسة جامعة لأصول الرسالة الخاتمة، فقد أرسل الله تعالى النبي ﷺ شاهداً بالحق على الحق للحق، وما تزال شهادة النبي ﷺ حاضرة في أمته، قال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) [سورة البقرة: ١٤٣]. فالوسطية تقتضي الشهود المستمر على الناس؛ لإقامة الحجة عليهم، وقد ربطت الآية بين شهادة الأمة على الناس وشهادة الرسول ﷺ على هذه الأمة نفسها؛ وذلك لتبقى الأمة حريصة على أداء شهادتها كما يريد الله تعالى ورسوله ﷺ، وشهادة الرسول ﷺ على شهادة الأمة تتمثل في سنته الشريفة التي تستقي منها الأمة منهجاً قوياً في شهادتها وحياتها، وبناءً على هذا عُصمت الأمة من الضلالة، فلا يجتمع جميع أفرادها على خطأ، كما قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي أَوْ قَالَ: أُمَّةٌ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى ضَلَالَةٍ وَيَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ وَمَنْ شَدَّ شَدًّا إِلَى النَّارِ»^(٨). وإذا كانت الوسطية تعني الخيرية، فقد أكد الله تعالى هذه الخيرية في الأمة، فقال تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) [سورة آل عمران: ١١٠]. دلّت الآية على خيريتها فيما مضى، ولم تدل على انقطاع طراً^(٩). وقد نُقل عن عمر رضي الله عنه أنه قرأ هذه الآية ثم قال: «يا أيها الناس من سره أن يكون من تلك الأمة فليؤد شرط الله منها»^(١٠). وشرط الله كما ذكرته الآية هو الإيمان بالله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقد قدّم الله تعالى وصف البشارة على النذارة، فقال: (وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا)؛ وذلك لأن رسالته صلى الله عليه وسلم هي رحمة للعالمين، كما قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) [الأنبياء: ١٠٧]. فدعوة النبي صلى الله عليه وسلم ليست دعوة إصلاحية ثورية كما قد يظن البعض، بل

هي رسالة نبوية مقدسة بإذن الله تعالى. ولذلك، جاء ذكر الدعوة مقيداً بمشيئة الله، حيث قال: (وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ). ثم أضاف تعالى وصفاً آخر للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: (وَسِرَاجًا مُنِيرًا). وهذا يعبر عن إشراق هدايته ونور رسالته الذي يضيء طريق المؤمنين. فحتى لو لم تكن هناك آيات بيّنة، لكانت فطرة النبي صلى الله عليه وسلم وبديهيته كافية لإخبار الناس بالحق، كما أن سيرته وأفعاله تتبهم عن صدق دعوته، وتبين لهم الطريق المستقيم^(١١). فالنبي ﷺ سراج منير خلّقا وخلّقا وكتاباً وحكمةً وأصحاباً ومنهجاً، إنه سراج منير لا ينطفئ نوره أبداً. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَأَنَّ الشَّمْسَ تَجْرِي فِي وَجْهِهِ، وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَسْرَعَ فِي مَشْيِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَأَنَّمَا الْأَرْضُ تُطْوَى لَهُ، إِنَّا لَنُجْهِدُ أَنْفُسَنَا وَإِنَّهُ لَغَيْرُ مُكْتَرَبٍ»^(١٢). وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَزْهَرَ اللَّوْنِ كَأَنَّ عَرَقَهُ اللَّوْلُؤُ إِذَا مَشَى تَكَفَّأً، وَلَا مَسِسْتُ دِيْبَاجَةً وَلَا حَرِيرَةً أَلَيْنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا شِمَمْتُ مَسَكَةً وَلَا عَنَبَةً أَطْيَبَ مِنْ زَائِحَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»^(١٣).

المطلب الثالث: ولاية النبي ﷺ العامة:

بعد إبطال التنبّي، كما ورد في بداية سورة الأحزاب، لم يعد النبي صلى الله عليه وسلم أباً لزيد بن حارثة رضي الله عنه، ولا لأي رجل من الرجال بشكل حقيقي. قال تعالى في هذه السورة: (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) [سورة الأحزاب: ٤٠] وذلك لأن أولاد النبي الذكور توفوا في صغرهم، ولم يكن له أحفاد سوى ما جاء من السيدة فاطمة رضي الله عنها. وكان انقطاع نسبه من الذكور دلالة على انقطاع النبوة من بعده، فهو (خاتم النبيين) كما ورد في القرآن الكريم. وقد أوضح النبي صلى الله عليه وسلم هذا المعنى في حديثه، حيث قال: «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْتُمُونَ، قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: فُؤَا بَنِيْعَةِ الْأَوَّلِ فَلِأَوَّلٍ، أَعْطَوْهُمْ حَقَّهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ». هذا الحديث يوضح أنه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، سيكون هناك خلفاء من بعده، ولكن لا نبي بعده، بل يكون الحكم والتوجيه من خلال الخلفاء الذين يجب على المسلمين أن يبايعوهم ويعطوهم حقوقهم^(١٤). ولكن الله تعالى قد أكرم نبيه ﷺ بالولاية العامة على المؤمنين، فقال تعالى: (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ) [سورة الأحزاب: ٦]. فولاية النبي ﷺ عامة في الدين والدنيا، فمن اتخذه ولياً فقد أفلح وسعد في الدارين، ذلك أن النبي هو النور المبين والرحمة المهداة للعالمين، والكلام في هذا الباب واسع، أشير إلى بضعة أحاديث: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَأَنَا أَوْلَى بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَفْرَعُوا إِنْ شِئْتُمْ: (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ)، فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ مَاتَ وَتَرَكَ مَالًا فَلْيَرِثْهُ عَصَبَتُهُ مَنْ كَانُوا، وَمَنْ تَرَكَ دِينًا أَوْ ضِيَاعًا فَلْيَأْتِيَنِي فَأَنَا مَوْلَاهُ»^(١٥). وقال رسول الله ﷺ: «كُلُّ نَبِيٍّ سَأَلَ سُؤْلًا أَوْ قَالَ: لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ قَدْ دَعَا بِهَا فَاسْتَجِيبَ فَجَعَلْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِمَتِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١٦).

المطلب الرابع: شرف مقام النبي ﷺ في النبيين عليهم السلام:

أشارت سورة الأحزاب إلى ذلك المقام المنيف من بين النبيين في قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا) [سورة الأحزاب: ٧، ٨]. فالميثاق الأول هو النبوة والتبليغ، والميثاق الغليظ هو الإيمان بالنبي الخاتم ونصرته، وقد فسره قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحْكَمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ) [سورة آل عمران: ٨١] في سؤال الصادق عن صدقه دلالة على أمرين مهمين: الأول، هو تحفيز على الالتزام بالتقوى ومراقبة النفس، إذ يتطلب من الإنسان أن يحاسب نفسه ويكون صادقاً في أقواله وأفعاله. أما الثاني، فهو توبيخ وتبكيث للمكذبين، حيث إذا كان الصادق يُسأل عن صدقه، فمن باب أولى أن يُسأل الكاذب عن كذبه. فالجميع سيُسألون عن أعمالهم، كما قال تعالى: (فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ) [سورة الأعراف: ٦] أمّا سؤال الرسل عن ما أجابوا به من رسالات، فقد فسره قوله تعالى: (يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمْ قَالَوَا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ) [سورة المائدة: ١٠٩]. وكذلك قال تعالى: (فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [سورة الحجر: ٩٢، ٩٣]. وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه: «لَا تَرَوْا قَدْ مَاتَ عَدِيٌّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فَيَمُوتُ أَفْنَاءً، وَعَنْ عِلْمِهِ فَيَمُوتَ فَعْلًا، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فَيَمُوتَ أَبْلَاهُ». هذا الحديث يوضح أن كل شخص سيُسأل عن أفعاله وأعماله في الدنيا، سواء كانت في مجال العمر أو المال أو العلم أو الجسد، مما يدعو إلى التدبر والتفكير في كيفية إدارة حياتنا واستغلال أوقانتنا ومواردنا فيما يرضي الله^(١٧).

المطلب الخامس: النبي ﷺ هو الأسوة الحسنة:

الأسوة الحسنة مطلب تربوي عام، نلاحظ أهميتها من خلال المؤسسات الأسرية والتربوية، فالأسوة الحسنة لجميع الأفراد والمؤسسات في جميع المستويات هو النبي ﷺ، قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) [سورة الأحزاب: ٢١]. ذكر الأسوة الحسنة في هذه السورة بين موقف المنافقين وموقف المؤمنين ليشير إلى ما يجب أن يكون عليه كلا الفريقين؛ فهلاً حركت مكارم النبوة

والأخلاق . أي: الأسوة الحسنة . في نفوس المنافقين نوازع الفطرة الإنسانية نحو تلك الكمالات الإنسانية؟ لو لم يكن سيدنا محمد ﷺ نبياً لكانت أخلاقه الإنسانية جاذبة للنفوس الكريمة! فأى شيء فيه لا يرضى عنه الناس؟ إنه الإنسان الكامل، والنبى الخاتم، والرحمة المهداة، والنور المبين، والصادق الأمين! وليس بعد ثناء ربه عليه ثناء، قال تعالى: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) [سورة القلم: ٤]. وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ»^(١٨). وقال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) [سورة الأنبياء: ١٠٧]. فرسالته اقتصررت على الرحمة فلا تتجاوزها، ورحمته عمّت العوالم كلها علويها وسفليها! لهذا كان هو الأسوة الحسنة لمن أراد سعادة الدارين، فهو أسوة حسنة ليس غير، لأنه لا يكون منه إلا الحسنة، فالسيئة ليست من أخلاقه، فوجهته وطريقه الصراط المستقيم الذي منه وبه يبدأ، وإلى الجنة ينتهي، لكن الهوى يصم ويعمي، وقد أردت الأهواء المنافقين والكافرين في المهالك، ونجا وأفلح من عرف قدر النبي ﷺ فتأسى به في جميع أعماله. وقد رأى الصحابة رضي الله عنهم النبي ﷺ يتقدمهم في المعارك فتقدموا، ورأوه صابراً ثابتاً فصبروا وثبتوا، ورأوه كيف كان يعصب بطنه من الجوع يوم الأحزاب فأسرع بعضهم بصنع الطعام كما فعل جابر ﷺ^(١٩). قال: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَنْفُلُ التَّرَابَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ حَتَّى أَغْمَرَ بَطْنُهُ أَوْ اغْبَرَّ بَطْنُهُ، يَقُولُ: وَاللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا، وَلَا تَصَدَّقْنَا، وَلَا صَلَّيْنَا، فَأَنْزَلَنَّا سَكِينَةً عَلَيْنَا، وَثَبَّتِ الْأَقْدَامَ إِنَّ لَاقَيْنَا، إِنَّ الْأَلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا، إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا، وَرَفَعَ بِهَا صَوْتَهُ: أَبَيْنَا أَبَيْنَا»^(٢٠). هذا هو القائد الأسوة الذي يُتَدْنَى بالأرواح!

المطلب السادس: إبداء النبي ﷺ وأتباعه من المؤمنين:

لقد توعده القرآن الذين يؤذون الله ورسوله، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا) [سورة الأحزاب: ٥٧، ٥٨]. فمن آذى الله تعالى بالكفر والشرك وآذى رسوله بالانقاص من نبوته وقدره فجزاؤه اللعن، أي: الطرد عن رحمة الله في الدنيا والآخرة، والعذاب المهين في جهنم. فأما من آذى مؤمناً بالقليل والقال بغير وجه حق فقد بهته وأثم إثماً عظيماً. قال رسول الله ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَا الْغَيْبَةُ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ، قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهْتَهُ»^(٢١). والبُهتان هو الكذب الذي يبهت سامعه، أي: يدهشه لفضاعته^(٢٢). وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيْدَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»^(٢٣). والمراد بولي الله: العالم بالله المواظب على طاعته المخلص في عبادته، عاداه من أجل ولايته وليس على الإطلاق، فيستثنى منه ما إذا كانت الحال تقتضي نزاعاً بين اثنين في مخاصمة أو محاكمة ترجع إلى استخراج حق أو كشف غامض، ولما كان ولي الله من تولى الله بالطاعة والتقوى تولاها الله بالحفظ والنصرة، وقد أجرى الله العادة بأن عدو العدو صديق، وصديق العدو عدو، فعدو ولي الله عدو الله، فمن عاداه كان كمن حاربه، ومن حاربه فكأنما حارب الله^(٢٤). وينبغي على المؤمن أن يبتعد عن مواطن الشبهة، وألا يهون من شأن دينه؛ حتى لا يهان ويؤذى، وعندئذ يكله الله تعالى إلى نفسه فلا يدافع عنه؛ لهذا عقب القرآن بعد الكلام عن خطورة آذى المؤمنين بما يجب عليهم من الالتزام بدينهم؛ ليكون الله تعالى وليهم ونصيرهم، فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) [سورة الأحزاب: ٥٩]. فإذا عرف الإنسان بالاستقامة فإله يتولى الدفاع عنه، فيبعد آذى الناس عنه، وإن ظهر من أحد آذى بارزه الله بالحرب؛ لأنه عادي وآذى ولياً من أوليائه، وقد قضت سنته بالدفاع عنهم كما سبق بيانه، وقال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ) [سورة الحج: ٣٨]. «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَجُلًا شَتَمَ أَبَا بَكْرٍ وَالنَّبِيَّ ﷺ جَالِسًا، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْجَبُ وَيَتَبَسَّمُ، فَلَمَّا أَكْثَرَ رَدَّ عَلَيْهِ بَعْضُ قَوْلِهِ، فَغَضِبَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَامَ، فَلَحِقَهُ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَانَ يَشْتُمُنِي وَأَنْتَ جَالِسٌ، فَلَمَّا رَدَدْتُ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ غَضِبْتَ وَقُمْتَ، قَالَ: إِنَّهُ كَانَ مَعَكَ مَلَكٌ يَرُدُّ عَنْكَ، فَلَمَّا رَدَدْتُ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ وَقَعَ الشَّيْطَانُ فَلَمْ أَكُنْ لِأَقْعُدْ مَعَ الشَّيْطَانِ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ ثَلَاثٌ كُلُّهُنَّ حَقٌّ: مَا مِنْ عَبْدٍ ظَلَمَ بِمَظْلَمَةٍ فَيُغْضِي عَنْهَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا أَعَزَّ اللَّهُ بِهَا نَصْرَهُ، وَمَا فَتَحَ رَجُلٌ بَابَ عَطِيَّةٍ يُرِيدُ بِهَا صَلَةً إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ بِهَا كَثْرَةً، وَمَا فَتَحَ رَجُلٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ يُرِيدُ بِهَا كَثْرَةً إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا قَلَّةً»^(٢٥).

الصبحث الثاني: الشن الإلهية في أهل بيت النبوة

المطلب الأول: معنى كلمة أهل البيت في القرآن:

وردت كلمة "أهل البيت" في القرآن الكريم في سياقات مختلفة، تتعلق غالبًا بزوجات الأنبياء عليهم السلام. ففي آيات سورة الأحزاب، نجد أن سياق الآيات يشير إلى أن المقصود بـ "أهل البيت" هنا هو نساء النبي صلى الله عليه وسلم. كما ورد في القرآن الكريم في سياق الحديث عن بعض الأنبياء وأهاليهم، مثل:

• في قصة إبراهيم عليه السلام وأهله، حيث قال تعالى: (قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ) (سورة هود: ٧٣).

• وفي قصة لوط عليه السلام وأهله، حيث قال تعالى: (إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرًا تَكَّ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ) (سورة العنكبوت: ٣٣).

• وفي قصة موسى عليه السلام وأهله، حيث قال تعالى: (إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى) (سورة طه: ١٠).

هذه الآيات تؤكد أن زوجة الرجل تُعد من أهل بيته، وهو ما تدعمه اللغة والعرف السائد. أما فيما يتعلق بآية الأحزاب، فإن سياق الآية، بما يتضمنه من سباق ولحاق، يوضح المقصود بأهل البيت، حيث قال تعالى: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا وَادْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحَكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا) (سورة الأحزاب: ٣٣-٣٤) إذن، الآيات السابقة تؤكد أن المقصود بـ "أهل البيت" في هذه السياقات يشمل النساء من أهل البيت، ولا سيما زوجات الأنبياء، وهو ما يُثبت من خلال المعنى اللغوي والشرعي الذي تتضمنه الآيات.

المطلب الثاني: معنى أهل البيت في آية الأحزاب:

الظاهر من سياق الآية في سورة الأحزاب أن المقصود بأهل البيت في هذه الآية هم نساء النبي صلى الله عليه وسلم. ولكن إذا كان الأمر كذلك، يطرح سؤال حول سبب عدم عودة الضمير إليهن بصيغة "ليذهب عنكن الرجز" بدلاً من "ليذهب عنكم" كما هو موجود في النص القرآني. من الممكن أن يُجاب على هذا السؤال بأن كلمة "أهل البيت" تشمل جميع أفراد أهل البيت بما فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لو كان المراد بأهل البيت في هذه الآية نساء النبي ﷺ كما هو ظاهر من السياق، فلماذا لم يرجع الضمير إلى النساء فيقول: ليذهب عنكن الرجز، كما رجع إليهن ضمير النسوة أكثر من عشرين مرة في سياق الآيات؟^(٢٦) ولماذا كانت نسبة البيوت إليهن ما قبل كلمة أهل البيت وما بعدها، فقال تعالى: بيوتكن، وعند ذكر الأهل قال: البيت بالمفرد أي: بيت واحد وليس بيوتاً؟ يقال في الجواب: إن المسألة بسيطة وواضحة يعلمها الأعجمي قبل العربي، فقد عدل عن ضمير النسوة إلى ضمير جمع المذكر حتى يشمل النساء والرجال، فيدخل أبنائهم وأحفادهم كما تدخل نساؤه وبناته في أهل البيت، كما خاطبت الملائكة امرأة إبراهيم عليه السلام ثم قالوا: رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت: (قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ) [سورة هود: ٧٣]. لقد عدلوا عن مخاطبتها بالمفرد المؤنث إلى مخاطبة الجمع المذكر، فقالوا: عليكم أهل البيت ولم يقل: عليك، حتى يشمل الرجل والمرأة أي: الزوج والزوجة، وكذلك فيه إشارة لولدهما الذي بُشِّرَتْ به وأحفادهما أي: إسحاق ويعقوب وأبنائهم من بعد. فأما القول: لماذا أفرّد كلمة البيت وفي السباق وللحاق دُكِرَ بالجمع مضافاً إلى نون النسوة، فقال: بيوتكن؟ فيقال: أُل التعريف في كلمة البيت للعهد، فالبيت المعهود هو بيت النبوة، وقد كان للنبي ﷺ بيوت على عدد زوجاته، سماها القرآن: الحجرات، فشملت كلمة البيت بيوته كلها.

المطلب الثالث: الحديث الوارد في أهل البيت في السنة:

فإن قيل: توجد العديد من الروايات التي تؤكد أن أهل البيت هم فاطمة وعلي والحسن والحسين رضي الله عنهم، وهذه الروايات مدعومة بأحاديث نبوية صحيحة. وقد بينت السنة النبوية تفسيراً للقرآن الكريم، مما يجعل ما ورد في السنة يتماشى مع ما ذكره القرآن. فقد بينت السنة أن القرآن في آية التطهير قد انتقل من مخاطبة المؤنث إلى مخاطبة المذكر لتشمل أبناء النبي صلى الله عليه وسلم وأحفاده وصهره علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وبالتالي، فإن أهل البيت المشار إليهم هم أهل النبوة، والنبي صلى الله عليه وسلم هو من يحدد من يدخل في هذا البيت، كما أشار صلى الله عليه وسلم عندما قال: «سَلَامُنْ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ»^(٢٧). وَجَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَهْلِ الْكِسَاءِ وَادْخَالَ سَلَامَانَ ﷺ لَا يَدُلُّ عَلَى الْحَصْرِ. قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مَرْحَلٌ مِنْ شَعْرِ أَسْوَدَ، فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ، ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا»^(٢٨). وَقَالَ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَشَهِدْتُ وَلِيمَةً زَيْنَبُ فَأَشْبَعَ النَّاسُ خُبْرًا وَلَحْمًا، وَكَانَ يَبْعَثُنِي فَأَدْعُو النَّاسَ، فَلَمَّا فَرَعَ قَامَ وَتَبِعْتُهُ، فَتَخَلَّفَ رَجُلَانِ اسْتَأْنَسَ بِهِمَا أَحَدُهُمَا لَمْ يَخْرُجَا، فَجَعَلَ يَمُرُّ عَلَى نِسَائِهِ فَيَسْلِمُ عَلَى كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَيْفَ أَنْتُمْ يَا أَهْلَ الْبَيْتِ؟ فَيَقُولُونَ: بِخَيْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ؟ فَيَقُولُ: بِخَيْرٍ»^(٢٩).

إذن ففساء النبي ﷺ من أهل البيت بالمصاهرة، وقد ثبت بنص القرآن، وأهل الكساء من أهل البيت بالنسب، وسلمان الفارسي من أهل البيت بالولاء، وقد ثبتا بنص السنة، وقد وسَّع الفقهاء مصطلح أهل البيت حتى شمل قرابته من بني هاشم.

المطلب الرابع: معنى التطهير لأهل البيت:

من الضروري فهم معنى الآية في إطار سياق الآيات الأخرى التي تتضمن أحكاماً تكليفية وتوجيهات ربانية. فقد أراد الله تعالى من خلال هذه الأحكام أن يحفظ كرامة أهل البيت ومكانتهم، من خلال تنقيتهم من الرذائل وتزويدهم بالفضائل. يُمكن تشبيه ذلك بنصيحة يقدمها شخص لأخيه، حيث ينهيه عن الأخطاء ويشجعه على الفضائل، ويختتم نصيحته بالتأكيد على أن هدفه هو مصلحته وسمعته الطيبة وطهارته. فالتكليف يوازي التشريف في مكانته. وقد أوضح القرآن ذلك في قوله تعالى: (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنَّ أَنْتُنَّ فَلَاحُصَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا) [الأحزاب: ٣٢]. هذه الآية تأمرهن بأن يتجنبن المساوئ والأفعال التي قد تؤدي إلى فساد النفوس، وتحثهن على التصرف بفضيلة ورقي، مما يزيل عن أهل البيت أي رذائل قد تضر بمقامهم الرفيع. هدف الله تعالى من هذه التوجيهات هو تطهير أهل البيت من جميع المساوئ ليكونوا قدوة حسنة للمسلمين، ول يحملوا الأمانة التي وضعها الله في أعناقهم. فإنهم ليسوا كغيرهم، سواء في تصرفاتهم أو أخطائهم، فتطهيرهم ليس مجرد تطهير من الذنوب، بل هو تطهير يُظهرهم في أبهى صورة لتمثيل القيم والأخلاق النبيلة التي يجب أن يتحلّى بها كل مسلم: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِن تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضَلُّوا بَعْدِي، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ: كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَعَثَرَتِي أَهْلُ بَيْتِي، وَلَنْ يَنْفَرَقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ، فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُقُونِي فِيهِمَا»^(٣٠). إذن، نظراً لهذا التلازم بين القرآن وأهل البيت، أراد الله تعالى أن يطهرهم تطهيراً تاماً ويذهب عنهم الرجس. فمن اتقى الله وأدى الأمانة نال أسمى مراتب الشرف، أما من ضيع الأمانة فمسيره إلى الله، إن شاء ألقاه بأهله، وإن شاء عذَّبه. ذلك أن شرف الانتساب إلى بيت النبوة لا يعوض عن شرف القرب من الله ورسوله بالأعمال الصالحة. ولهذا قال تعالى بعد آية التطهير: (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُنَّ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) [سورة الأحزاب: ٣٥]. عدد أنواعاً من الأعمال الصالحة، وقرن النساء بالرجال؛ ليتنبه المسلمون إلى أن خصوصية أهل البيت هي تشريف وتكليف، فإن قصروا في التكليف فاتهم التشريف، وذلك الشرف قد يناله المسلمون بالأعمال الصالحة التي عددها هنا، وأشار بإظهار النساء في السياق إلى أنه لا فرق بين الرجل والمرأة في الإيمان والعمل الصالح، وقد تسبق المرأة الرجل بأعمالها، فكذلك لا فرق في الإيمان والعمل الصالح بين المسلمين عموماً وأهل البيت، وقد يُسبق المسلم من أهل البيت بذلك، فالزمية التي أكرم الله تعالى بها أهل البيت لا تنقص من المزايا الكثيرة للمسلمين عموماً، فالفضل من الله يؤتيه من يشاء.

المبحث الثالث: الشنّ الهية في المنافقين

المطلب الأول: التشكيك وإشاعة الأكاذيب والفرار من المواجهة:

بين القرآن في هذه السورة موقف المنافقين تجاه تجمع الأحزاب، كما بيّن أيضاً موقف المؤمنين. وتعدُّ مثل هذه المواقف متكررة في كل ابتلاء يواجهه المؤمنون عبر العصور. ومن هنا، فإن الاهتمام بمثل هذه المواقف يعد أمراً بالغ الأهمية، لأنها تمثل سنناً كونية ثابتة. وقد بدأ القرآن بموقف المنافقين وفصل فيه؛ نظراً لخطورته الكبيرة على المؤمنين بشكل عام. قال تعالى: (وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُلِوا الْفِتْنَةُ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَسِيرًا وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الدُّبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا) [سورة الأحزاب: ١٢-١٥]. فأول خطوة خاطئة يتخذها المنافقون هي التشكيك في الثوابت والمحكمات من الدين، فأروا أن وعد الله ورسوله لهم بالغلبة والنصر وغير ذلك كان باطلاً وزوراً! والخطوة الخاطئة الثانية هي إشاعة الأكاذيب، ودسُّ السمِّ في العسل من خلال إثارة مصطلحات رجعية عصبية طائفية إلى غير ذلك من الأغراض الخبيثة، كما تفعل وسائل الإعلام المعاصرة المكتوبة والمسموعة والمرئية في وقتنا المعاصر! قال تعالى هنا: "وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا". فتنبّه كيف وجَّهوا الخطاب لأهل يثرب فقط، إنه خطاب يشير إلى غرض المنافقين في العودة إلى ما قبل دخول النبي ﷺ المدينة المنورة، أي: يريدون أن يرجعوا إلى العصبية والجاهلية لتبقى لهم السيادة! ويشير قولهم: "لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا". إلى ترك المهاجرين يواجهون تلك الحشود! والخطوة الثالثة التي تعقب تلك الدعوات والأراجيف هي الفرار من المعركة بأسلوب الاستئذان والاعتذار الكاذب، يقولون: "إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا". فقد فروا، "وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الدُّبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا". فقد جمعوا بين خسيتين: النفاق والغدر، وليس ذلك من مكارم الأخلاق عند الرجال!

ومن شناعات أخلاقهم أنَّ إثارة الفتنة بين الناس مقدّمة عندهم على عورة البيوت التي اعتذروا لأجلها اعتذاراً كاذباً، لقد فضح القرآن شأنهم هذا، فقال تعالى: "وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا". أي: لو دخلت تلك الجموع بيوتهم من كل جانب ثم طُلب منهم الفتنة لتركوا بيوتهم واستجابوا دون تأخير! لقد نكسوا سُلَّم الأولويات والضرورات! ولن ينفعهم الفرار، قال تعالى: (قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا) [سورة الأحزاب: ١٦، ١٧]. إن كان فرار المنافقين خوفاً من القتل فإن هذا الفرار لا يغنيهم من الموت أو القتل المقدّر عليهم، ولن يتمتعوا بالحياة وقتاً طويلاً، ذلك أنَّ الموت الذي يفرون منه فإنه ملاقيهم، وليس لديهم عصمة تمنع نزول قدر الله فيهم، فلا يدفع السوء ولا يأتي بالرحمة إلا الله تعالى، وليس لأحدٍ من دونه من ولي ولا نصير في دفع مفسدة أو جلب مصلحة.

المطلب الثاني: التعويق والشح والخوف وسلطة اللسان:

من سنن المنافقين الواردة هنا: التعويق والشح والخوف وسلطة اللسان، قال تعالى: (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ جِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا) [سورة الأحزاب: ٢٠، ١٨]. لقد كشف الوحي أساليب المنافقين في التعويق، أي: وضع العوائق، وفي التحزب؛ لأجل تشييط المؤمنين، وزعزعة إيمانهم وثباتهم، وبذلك تتقلب تلك الأساليب حسرة عليهم، ويزداد المؤمنون إيماناً مع إيمانهم! والمنافقون لا يشاركون في حرب إلا قليلاً، وإن شاركوا فلأجل غرضين رئيسين: الأول: تحقيق منفعة خاصة. والثاني: إثارة الفتنة، وإفساد ذات البين، قال تعالى: (لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) [سورة التوبة: ٤٧]. والخبال: الفساد والشر والاضطراب، ولأوضحوا خلالكم، أي: سعوا بينكم بالنمائم والتضريب بين ذات البين^(٣١). ومن سنن المنافقين المذكورة هنا: الشح، ومعناه: بخل مع حرص، فالشحيح حريص على ما ليس بيده، فإذا حصل بيده شحّ وبخل بإخراجه، فالشح يأمر بالبخل؛ كما قال رسول الله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالشَّحَّ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالشَّحِّ، أَمْرُهُمْ بِالْبُخْلِ فَبُخِلُوا، وَأَمْرُهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَّعُوا، وَأَمْرُهُمْ بِالْفُجُورِ فَفَجَّرُوا»^(٣٢). فالبخيل: من أجاب داعي الشحّ، والمؤثر من أجاب داعي الجود والسخاء^(٣٣). فالمنافقون «أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ» أيها المؤمنون خاصة، وهم «أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ» عامة. ومن سننهم: سلطة اللسان، «فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ جِدَادٍ». فالمنافقون إذا خاصموا فجروا، وذلك إذا انتهت الحرب وذهب خوفهم آذوا المؤمنين بأسننتهم السليطة الفاجرة!

المطلب الثالث: الخوف والرعب والجبن:

ومن سننهم: الخوف والرعب والجبن، قال تعالى: (فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ) [سورة الأحزاب: ١٩]. وقال تعالى: (وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ) [سورة الأحزاب: ٢٠]. أي: يرغبون في الخروج إلى البوادي بعيداً عن الأحزاب؛ لأنهم إن بقوا إما أن يحاربوا وهم شاكون بالنصر، وإما ألا يحاربوا فتظهر عداوتهم للمؤمنين، فيريدون أن يبقوا في حالة التذبذب والنفاق؛ لذلك يرغبون بالابتعاد، ومن بعيد يسألون عن الأنباء! وينبغي ألا يعبأ المؤمنون ببعدهم عن القتال؛ لأن في مشاركتهم خبلاً ومفسدة بين ذات البين.

المطلب الرابع: سنة الله في المنافقين:

النفاق داء عضال يفتك بالأمة، وخطورته على المنافق نفسه أعظم، حيث يحبط عمله ويكون في الدرك الأسفل من النار، إن كان نفاق اعتقاد لا نفاق عمل، قال تعالى: (أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا) [سورة محمد: ٢٨]. وقال تعالى: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا) [سورة النساء: ١٤٥، ١٤٦]. وقد بيّن القرآن في هذه السورة سنة الله فيهم، قال تعالى: (لَنْ يَنْتَهِيَ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجَفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقُفُوا أُخْذُوا وَقُتِلُوا نَفْتِيلًا سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) [سورة الأحزاب: ٦٠، ٦٢]. فأكثر الأذى الذي يصيب المؤمنين يأتي من جهة المنافقين؛ وذلك لقربهم ومخالطتهم، وقد توعدهم الله تعالى بالوعيد الشديد في الدنيا والآخرة إن لم ينتهوا عن الأذى بأن يطردهم عن رحمته، ويسلط عليهم من يسومهم العذاب، ويبغضهم إلى الناس، فلا يجالسونهم ولا يتعاملون معهم، وتكون نهاياتهم وخيمة، تلك سنة الله فيهم، ولا يمكن لأحدٍ أن يبدل سنة الله أو يغيرها. والمراد بقوله تعالى:

"الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ". أوصاف ثلاثة لموصوف واحد، كقوله تعالى: (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ...) إلخ الآية [سورة الأحزاب: ٣٥]. حيث ذكر أصنافاً عشرة، وكلهم يوجد في واحد، فهم واحد بالشخص كثير بالاعتبار^(٣٤).

المبحث الرابع: السُّنن الإلهية في المؤمنين

المطلب الأول : الإبتلاء :

السنن المتعلقة بالمؤمنين في القرآن كثيرة، المذكور منها في هذه السورة قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا) [سورة الأحزاب: ٩ - ١١]. تلك واقعة من وقائع ابتلاءات المؤمنين، وذلك يوم الأحزاب أو الخندق، فقد زاعت الأبصار، أي: مالت عن حد الاعتدال في الرؤية، بسبب الحيرة والدهشة عندما رأوا جموع الكافرين وتكالبههم، وقد بلغت القلوب الحلقوم من الفرع والخوف، وتعددت الحسابات والتكهنات والتحليلات السياسية والعسكرية في نتائج تلك المعركة التي زلزلت المؤمنين زلزالًا شديدًا، فكشفت حقائق الإيمان والصبر والثبات والتوكل، حقًا كان الابتلاء عظيمًا ميّز الخبيث من الطيب، وأظهر معادن الرجال! عَنِ إِبْرَاهِيمَ التَّمِيمِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «كُنَّا عِنْدَ حُدَيْفَةَ فَقَالَ رَجُلٌ: لَوْ أَذْرَكْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَاتَلْتُ مَعَهُ وَأَبْلَيْتُ، فَقَالَ حُدَيْفَةُ: أَنْتَ كُنْتَ تَفْعَلُ ذَلِكَ؟ لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْأَحْزَابِ وَأَخَذْتُنَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَقُرٌّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَسَكَنْتَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِّنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَسَكَنْتَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِّنَّا أَحَدٌ، فَقَالَ: فَمَ يَا حُدَيْفَةُ، فَأَتَانَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ، فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي أَنْ أَقُومَ، قَالَ: اذْهَبْ فَأَتَيْتِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَلَا تَذَعْرَهُمْ عَلَيَّ، فَلَمَّا وَلَيْتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حِمَامٍ حَتَّى أَتَيْتُهُمْ، فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ، فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَبِدِ الْقَوْسِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيهِ فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: وَلَا تَذَعْرَهُمْ عَلَيَّ، وَلَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصْبَحْتُ، فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحِمَامِ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ وَفَرَعْتُ فُرَزْتُ، فَأَلْبَسَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ فَضْلِ عِبَادَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ يَصْلِي فِيهَا، فَلَمْ أَزَلْ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحْتُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَالَ: فَمَ يَا نَوْمَانُ» (٣٥).

المطلب الثاني: التطبيقات التربوية لسنن الإلهية في سورة الأحزاب (الصبر والعدالة):

يمثل فهم السنن الإلهية في القرآن الكريم أساساً مهماً في بناء الوعي الإيماني والتربوي لدى الفرد، وخاصة لدى الطلاب في مراحل التعليم المختلفة. وقد جاءت سورة الأحزاب زاخرة بمجموعة من هذه السنن التي تكشف طبيعة الابتلاء والتمحيص، وتوصل لقيم أخلاقية وتربوية عالية، من أبرزها سُنَّة الصبر وسُنَّة العدالة^(٣٦).

أولاً: سنة الصبر كما عرضتها سورة الأحزاب:

تبرز سورة الأحزاب مواقف حقيقية من الشدائد والضغط التي واجهها المسلمون أثناء حصار الأحزاب، حيث تتابعت عليهم صور الخوف والجوع وقلة الموارد، ولم يكن أمامهم سوى الثبات والاستعانة بالله. وقد صوّرت الآيات هذا المشهد لتغرس في النفس البشرية أن الصبر ليس مجرد تحمل، بل هو قوة داخلية تعكس عمق الإيمان وحكمة التعامل مع الأزمات.

ويستفيد الطالب من هذه السنة الإلهية بأن يتعلّم الصبر على طلب العلم، ومواجهة صعوبات الدراسة بثبات وإصرار، وعدم الاستسلام للفشل أو الإحباط، إضافة إلى تعزيز ثقته بقدراته وتوجيهه نحو الاستمرارية والاجتهاد.

ثانيًا: سنة العدالة وأثرها في التربية كما وردت في سورة الأحزاب:

تَوَصَّل سورة الأحزاب لمبدأ العدالة باعتباره قيمة إلهية ثابتة، حيث تناولت تنظيم العلاقات الاجتماعية، وضبط الحقوق بين أفراد المجتمع، وشددت على المسؤولية الأخلاقية في القول والعمل. وبَيَّنَت السورة مشاهد من حياة النبي ﷺ وأهل بيته، ومن حياة المؤمنين عموماً، تبرز كيف يجب أن يكون العدل قاعدة يُبنى عليها التعامل واتخاذ القرارات. وتنعكس هذه السنة تربوياً على الطالب من خلال تعليمه احترام حقوق زملائه ومعلميه، والابتعاد عن الظلم والتمتر، واتخاذ المواقف بناء على الإنصاف لا العاطفة، مما يربِّي لديه شخصية معتدلة مسؤولة وقادرة على التفاعل الإيجابي داخل المجتمع المدرسي^(٣٧).

ثالثاً: الأثر التربوي العام لفهم السنن الإلهية في سورة الأحزاب:

إنَّ إدراك الطالب للمنهج القرآني في عرض السنن الإلهية يساهم في بناء رؤية متوازنة للحياة، إذ يفهم أن النجاح يحتاج إلى صبر، وأن العلاقات تحتاج إلى عدل، وأن كل سلوك إيجابي يقابله أثر إيجابي في واقعه. كما يمكنه هذا الفهم من اكتساب مهارات حياتية، أهمها: قوة الإرادة، القدرة

على إدارة الضغوط، الاستقلالية في اتخاذ القرار^(٣٨)، وحل المشكلات بنضج. ومن ثم يصبح أكثر قدرة على المشاركة الفاعلة في مجتمعه، وأكثر التزامًا بقيم الإسلام في حياته اليومية^(٣٩).
السُّنن الإلهية في سورة الاحزاب آيات وتفسير وتطبيق تربوي

المضمون	التفسير / السُّنة الإلهية	نص الآية ورقمها	التطبيق التربوي
آية	أمرٌ للنبي ﷺ بالثبات على التقوى وعدم اتباع أهل الفساد.	يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين (١)	التمسك بالتقوى، والابتعاد عن التأثير بالمفسدين والقذوة الحسنة للمؤمنين.
آية	لا خيار للمؤمن أمام أمر الله ورسوله، ونزلت في قصة زينب وزيد رضي الله عنهما.	وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة (٣٦)	طاعة الله ورسوله فوق الهوى والرغبات، والالتزام بالشرعية حتى فيما يخالف الميل الشخصي.
آية	وصف الأنبياء ومن سار على نهجهم بأنهم أبلغوا الحق وخافوا الله وحده.	الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله (٣٩)	أهمية خشية الله وحده، والثبات على الحق دون خوف من البشر.
آية	بيان أن النبي ﷺ ليس والدًا لأحد من الرجال وتأكيده ختم النبوة به.	ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين (٤٠)	وجوب اتباع النبي ﷺ واعتقاد ختم النبوة.
آية	الله تعالى وملائكته يثنون على المؤمنين ويدعون لهم.	هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور (٤٣)	قوة الإيمان والدعاء في تنوير القلب، وحصول المؤمن على معية الله.
آية	أمر بالحجاب والستر لحماية النساء وتمييزهن عن السوء.	يدنين عليهن من جلابيهن (٥٩)	أهمية الحجاب في صون المرأة وحماية المجتمع من الفتن.
آية	تهديد المنافقين الذين يفسدون المجتمع بعقاب في الدنيا والآخرة.	إن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض... (٦٠)	التحذير من النفاق والفساد، وضرورة حماية المجتمع من الفتن.
سُنة إلهية	سُنة الابتلاء والزلزلة.	إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ... وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (١٠ - ١١).	أ- قوة الإرادة وإدارة الأزمات: تدريب الطالب على تحويل الضغوط النفسية أو الدراسية (الزلازل) إلى دافع لتقوية الإيمان والعمل. ب- الثقة بالنفس والقيادة: تعليم الطلاب أن المواقف الصعبة هي التي تظهر معادن القادة والرجال.

المضمون	التفسير / السُّنة الإلهية	نص الآية ورقمها	التطبيق التربوي
سُنة إلهية	سُنة الصدق والوفاء بالعهد.	مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ... وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٣).	أ- بناء النزاهة والمسؤولية: غرس قيمة الصدق في الأقوال والأفعال. ب- الوفاء بالوعد والمواثيق: التأكيد على أنَّ العهود أمانة ومسؤولية أمام الله تعالى.
سُنة إلهية	سُنة وحدة القصد والقلب.	مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ... وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (٤).	أ- تحديد الأهداف وتركيز الجهد: تعليم الطالب أنَّ القلب لا يتجه في اتجاهين متعارضين، وتدريبه على وضع الأولوية الكبرى. ب- مكافحة النفاق الاجتماعي: تربية الطالب على الوضوح والشفافية في التعامل والتحذير من ازدواجية المعايير.
سُنة إلهية	سُنة الأمانة والتكليف.	إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ... وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ... إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (٧٢).	أ- التعزيز الإيجابي للشعور بالمسؤولية: فهم أنَّ حمل الأمانة شرف عظيم. ب- استثمار أدوات التعلم: التعامل مع أدوات التعلم والمرافق العامة كأمانة يجب صيانتها.
سُنة إلهية	سُنة القول السديد.	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠).	أ- إتقان مهارات الاتصال: التركيز على اختيار الألفاظ والتعبير عن الرأي بوضوح وأدب. ب- الأخلاق الرقمية والإعلامية: تطبيق مفهوم "القول السديد" على التعامل في وسائل التواصل الاجتماعي، والابتعاد عن الشائعات.
سُنة إلهية	سُنة مكافحة الإرجاف والمنافقين.	لَّئِن لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ... إِلَّا قَلِيلًا (٦٠).	أ- تنمية الوعي النقدي (الفترة): تعليم الطلاب كيفية تحليل الأخبار والشائعات (الإرجاف) وعدم الانسياق وراء السلبية والتشكيك في الثوابت.

المطلب الثالث: اليقين بوعد الله، والصدق في المواقف من سنن المؤمنين:

لا يشك المؤمنون بوعده الله في النصر وغيره؛ ولهذا تراهم صادقين في المواقف وفيما عاهدوا الله عليه، قال تعالى: (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا) [سورة الأحزاب: ٢٢، ٢٤]. لقد صدق رجال من المؤمنين ما عاهدوا الله عليه، ليس يوم الأحزاب فحسب؛ بل صدقوا في الإيمان والاتباع، وفي المهمات والمجاهدات! فأما يوم الأحزاب فقد عبّروا عن موقفهم بقولهم: "هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا". فالزلزال الشديد الذي أصابهم يوم الأحزاب زادهم إيمانًا وتسليمًا؛ لأنهم علموا مثل الذين من قبلهم حين زلزلوا فثبتوا فنصرهم الله تعالى: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) [سورة البقرة: ٢١٤]. وكذلك ثبت المؤمنون يوم الأحزاب. عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: «كَانَتِ الْأَنْصَارُ يَوْمَ الْخَنْدَقِ تَقُولُ: نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا عَلَى الْجِهَادِ مَا حَيِّبًا أَبَدًا فَأَجَابَهُمُ: اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ فَأَكْرِمِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ»^(٤٠).

المطلب الرابع: المؤمنون لا ينازعون الله ورسوله في حكم:

من سنن المؤمنين في رسوخ الإيمان والثبات أنهم لا ينازعون الله ورسوله فيما قضى وأمر، خلافاً للمنافقين، قال تعالى: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا) [سورة الأحزاب: ٣٦]. المؤمن الحق وقَّاف عند الحق، لا يدهن ولا ينافق، اختياره ما اختار الله ورسوله؛ لأنه يعلم أن الله يحكم ما يريد، وأن حكم الله عدل ورحمة وإحسان، ويعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم، كما تقدم ببيانه، ويعلم أن في معصية الله ورسوله ضللاً بعيداً، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم مضرب المثل في سرعة الاستجابة لله ولرسوله، وفي الثبات على الحق! جاء في الصحيح من حديث طويل: "فَرَجَعَ عُرْوَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَيُّ قَوْمٍ وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ وَوَفَدْتُ عَلَى قَبِصَرٍ وَكَبِشْرَى وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مُلْكًا قَطُّ يُعْظِمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعْظِمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم مُحَمَّدًا، وَاللَّهِ إِنْ تَنَحَّيْتُ خَاطَمَةً إِلَّا وَقَعْتُ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَذَلِكَ بِهَا وَجْهُهُ وَجِلْدُهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأُوا كَانُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمُوا خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحْدِثُونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ"^(٤١). ولهذا نالوا أعلى شهادة تركية ورضوان في تاريخ الإنسانية، لقد زكاهم ربهم فأنعِم وأكْرَم! قال تعالى: (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَوَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [سورة التوبة: ١٠٠]. إذن فالإيمان والثبات على الحق له ثمن كبير عند الله تعالى، لا يفقهه غير المؤمن الذي ذاق طعم الإيمان ورسوخ في قلبه.

المطلب الخامس: سنة الله في المؤمنين:

عندما صدق المؤمنون في التآسي برسول الله صلى الله عليه وسلم، وصدقوا في اليقين، وصدقوا في الثبات، كفاهم الله القتال، كما قال تعالى: (وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْطِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطْنُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا) [سورة الأحزاب: ٢٥، ٢٧]. وقد منَّ الله تعالى على المؤمنين فنصرهم بريح وبنود لم يروها، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا) [سورة الأحزاب: ٩]. ورد الله تعالى بذلك الذين كفروا بغيطهم أي: بحقدهم وغضبهم؛ لفشلهم فيما أرادوا. قال أبو سعيد الخُدري رضي الله عنه: «قُلْنَا يَوْمَ الْخَنْدَقِ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ مِنْ شَيْءٍ نَقُولُهُ فَقَدْ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ، قَالَ: نَعَمْ اللَّهُمَّ اسْنُرْ عَوْرَاتِنَا وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا. قَالَ: فَضْرَبَ اللَّهُ عَرَّ وَجَلَّ وَجْوهَ أَعْدَائِهِ بِالرَّيْحِ فَهَرَمَهُمُ اللَّهُ عَرَّ وَجَلَّ بِالرَّيْحِ»^(٤٢). وكان من دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب: «اللَّهُمَّ مَنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، اللَّهُمَّ اهْزِمِ الْأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمَهُمْ وَزَلْزِلَهُمْ»^(٤٣). هذا ما يتعلق بالأحزاب الذين جاءوا من خارج المدينة، فأما الذين من داخل المدينة فهم يهود بني قريضة الذين نقضوا عهدهم وانضموا إلى المشركين، «فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنَ الْخَنْدَقِ وَضَعَ السِّلَاحَ وَاعْتَسَلَ فَأَنَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ يَنْفُضُ رَأْسَهُ مِنَ الْعُبَارِ، فَقَالَ: قَدْ وَضَعْتَ السِّلَاحَ وَاللَّهُ مَا وَضَعْتُهُ، اخْرُجْ إِلَيْهِمْ، قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: فَأَيْنَ؟ فَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، فَأَتَاهُمُ رَسُولُ اللَّهِ، فَزَلُّوا عَلَى حُكْمِهِ، فَزَلَّ الْحُكْمُ إِلَى سَعْدٍ، قَالَ: فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ الْمُقَاتِلَةُ، وَأَنْ تُسَبَى النِّسَاءُ وَالذَّرِيَّةُ، وَأَنْ تُقَسَمَ أَمْوَالُهُمْ»^(٤٤). هكذا نالوا جزاء غدرهم بعد أن قذف الله تعالى في قلوبهم الرعب، وأنزلهم من صباصيعهم، أي: حصونهم! ومن سنن الله في المؤمنين أيضًا أنه يصلي عليهم وملائكته، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا) [سورة الأحزاب: ٤١، ٤٣]. ذكّر الله نعمة ليس فوقها نعمة، عرفها من عرف وأنكرها من أنكر! وبهذه النعمة يخرجهم الله من الظلمات إلى النور، وهكذا تتوالى الرحمة وتتعاظم المثوبة! فصلاة الله على المؤمن

هي الرحمة، وصلاة الملائكة هي الاستغفار، والمؤمن دائماً يذكر الله تعالى في قلبه وعمله وحاله، وكأنَّ المراد بالذكر هنا أن تكون للمؤمن سُبْحَةً، أي: وردَّ يواظب عليه في الأوقات التي أشار إليها القرآن في الصباح والمساء وأطراف النهار وآناء الليل. قال رسول الله ﷺ: «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ»^(٤٥) وكذلك يصلح لهم أعمالهم بشرط القول السديد، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) [سورة الأحزاب: ٧٠، ٧١]. القول السديد أي: الصواب غير المائل عن الحق، يقال: سدد السهم نحو الرمية: إذا لم يعدل به عن الهدف، والقول السديد يدخل في معنى التقوى، خصَّه بالذكر؛ لأهميته وخطورته في حياة الإنسان، فالكلمة مفتاح الأعمال، بها تكون صالحة أو فاسدة؛ لهذا قال تعالى: (وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ). فصلاح الأعمال وفسادها متعلق باللسان، ابتداءً من النطق بالشهادتين: «لا إله إلا الله محمد رسول الله». وقد ضرب الله تعالى مثلاً للكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة، فقال: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ) [سورة إبراهيم: ٢٤، ٢٦]. قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ كُلَّهَا تَكْفُرُ لِلَّسَانِ فَنَقُولُ: اتَّقِ اللَّهَ فِينَا فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنْ اسْتَقَمَّتْ اسْتَقَمْنَا، وَإِنْ اغْوَجَّتْ اغْوَجْنَا»^(٤٦). وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ»^(٤٧).

المبحث الخامس: الأمانة سنة الله التي حملها الخلق

المطلب الأول: الأمانة السنة الإلهية المكلف بها الإنسان:

خُتِمَتْ سورة الأحزاب بآية الأمانة، قال الله تعالى: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) [سورة الأحزاب ٧٢، ٧٣]. أشارت هذه الآية إلى فلسفة عميقة لا يمكن إدراكها بالعقل، ظاهرها أن الإنسان هو الكائن الذي حمل باختياريه الأمانة التي بُني عليها التكليف الذي بُني عليه المسؤولية والجزاء، ولم يقدِّر ويفكر الإنسان حين التحمل بالأداء والوفاء، فالتحمل ليس كالأداء؛ ولهذا ضيَّع كثير من الناس الأمانة فظلموا أنفسهم وجعلوا عواقب الأمور، وقد أوفى بعضهم بها فأداها على وجهها، وأولهم المرسلون والأنبياء والرَّبَّانِيُّونَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

المطلب الثاني: الكون يسبح بحمد ربّه:

بَيَّنَّتْ آية الأمانة أن السموات والأرض والجبال اخترن الطاعة والتسبيح على الاختيار والتكليف، وقال تعالى: (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) [سورة فصلت: ١١]. وهذه المسألة لا يفقهها الإنسان، فالإيمان بها من جهة الوحي، قال تعالى: (تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَقْضِيهِمْ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ خَلِيمًا غَفُورًا) [سورة الإسراء: ٤٤]. وقد ذُكِرَتْ قصة النملة والهدد في القرآن، ووردت الآثار بشأن كلام الجماد والحيوان للنبي ﷺ، فالمسألة ليست غريبة على المؤمنين؛ لإمكانها العقلي، ووقوعها السمعي. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: بَيْنَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً إِذْ رَكِبَهَا فَضَرَبَهَا، فَقَالَتْ: إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ لِهَذَا إِنَّمَا خُلِقْنَا لِلْحَرْثِ، فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّهِ بَقَرَةٌ تَكَلِّمُ، فَقَالَ: فَإِنِّي أَوْمِنُ بِهَذَا أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَمَا هُمَا ثُمَّ، وَبَيْنَمَا رَجُلٌ فِي غَنَمِهِ إِذْ عَدَا الذَّنْبُ فَذَهَبَ مِنْهَا بِشَاةٍ فَطَلَبَ حَتَّى كَانَتْهُ اسْتَنْقَذَهَا مِنْهُ، فَقَالَ لَهُ الذَّنْبُ هَذَا: اسْتَنْقَذْتَهَا مِنِّي فَمَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبْعِ يَوْمَ لَا رَاعِيَ لَهَا غَيْرِي، فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّهِ ذَنْبٌ يَتَكَلَّمُ قَالَ: فَإِنِّي أَوْمِنُ بِهَذَا أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَمَا هُمَا ثُمَّ»^(٤٨).

المطلب الثالث: نتيجة حفظ الأمانة وإضاعته:

بَيَّنَّ الْقُرْآنُ بَعْدَ الْكَلَامِ عَنِ الْأَمَانَةِ النَّتِيجَةُ الْمُرْتَبِتَةُ عَلَى حِفْظِهَا أَوْ إِضَاعَتِهَا، قَالَ تَعَالَى: (لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) [سورة الأحزاب: ٧٣]. هذه اللام تسمى لام العاقبة، أي: حمل الإنسان الأمانة؛ لتكون عاقبته العذاب بإضاعته، أو التقصير فيتوب الله عليه ويغفر له. وَخَصَّ النِّسَاءَ بِالذِّكْرِ مِنَ الْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكَاتِ وَالْمُؤْمِنَاتِ؛ لِلتَّأَكِيدِ عَلَى أَنَّ النِّسَاءَ كَالرِّجَالِ فِي حَمْلِ الْأَمَانَةِ وَالْمَسْئُولِيَةِ عَنْهَا^(٤٩). وَلَمَّا قَالَ تَعَالَى عَنِ الْإِنْسَانِ: «إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا». قَابِلَ هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ بِالْمَغْفَرَةِ وَالرَّحْمَةِ، قَالَ تَعَالَى: «وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا». فَكُلُّ ذَنْبٍ مَا دُونَ الشَّرِكِ فَمَعْلُوقٌ بِمَشِئَةِ اللَّهِ تَعَالَى، فَأَمَّا الشَّرِكُ فَقَدْ نَصَّ عَلَى عَدَمِ مَغْفَرَتِهِ، قَالَ تَعَالَى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا) [سورة النساء: ٤٧، ٤٨]. وهذه أرجى آية في القرآن. وهكذا خُتِمَتْ سُورَةُ الْأَحْزَابِ بِوَعِيدِ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُشْرِكِينَ، كَمَا بَدَأَتْ بِالْأَمْرِ بِعَدَمِ طَاعَتِهِمْ.

بعد هذه الدراسة، يتضح أنَّ البحث في السنن الإلهية في القرآن يتسم بأهمية بالغة، كونها قوانين ثابتة لا تتغير أو تتبدل، كما ذكر القرآن الكريم. هذه السنن لا تتعارض مع الواقع عبر العصور، ولن يكون هناك تعارض؛ لأنَّ من يخبر بها هو الوحي، الذي لا ينطق عن الهوى، مما يميز هذه السنن بالصدق والثبات. والسنن الإلهية في سورة الأحزاب تكون القيم القرآنية ليست مجرد مضامين إيمانية، بل هي مبادئ تربوية تبني الإنسان ليكون قادرًا على مواجهة الحياة بثبات وعدل. فالصبر يزوده بقوة التحمل والمثابرة، والعدالة ترسم له منهجًا أخلاقيًا سليمًا في التعامل مع الآخرين. وهذا كله ينعكس مباشرة على الطالب، فيسهم في تنمية شخصيته علميًا وأخلاقيًا، ويعزز قدرته على النجاح في حياته الدراسية والاجتماعية.

في هذه الخاتمة، تم استعراض أبرز السنن الإلهية التي تم تناولها في البحث وفقًا للترتيب المتقدم:
النتائج:

أولاً: الترقّي في الكمالات لا يتوقف، وشهود النبي صلى الله عليه وسلم بسنته وسيرته على أمته مستمر، فهو ليس أبًا لأحد، بل هو وليّ للمؤمنين جميعًا، وأسوة حسنة لهم وللناس أجمعين في مختلف المجالات الفردية والاجتماعية والمؤسسية. ومن آذى الله ورسوله والمؤمنين، فقد أعلن الله الحرب عليه، ولن يفلح في مسعاه، بل سيهزم ويطرد.

ثانيًا: مصطلح "أهل البيت" يشمل الرجل ونسائه وذريته، حيث إنَّ نساء النبي صلى الله عليه وسلم من أهل البيت بالمصاهرة، بينما أهل الكساء منهم بالنسب، وسلمان الفارسي من أهل البيت بالولاء. وقد ثبت ذلك بنصوص من السنة. كما وسَّع الفقهاء هذا المفهوم ليشمل قرابته من بني هاشم. أهل بيت النبوة ليسوا كغيرهم في حال اتقوا، وإذا أخطأوا فخطوهم ليس كخطأ غيرهم، إذ أراد الله لهم أن يطهرهم تطهيرًا يتناسب مع مكانتهم، وأن يكونوا أسوة حسنة للبشر. وقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم التلازم بين القرآن وأهل بيته، حيث أراد الله تطهيرهم ليكونوا مثالًا للتقوى والعمل الصالح. فمن اتقى منهم نال مرتبة الشرف، ومن ضيع الأمانة فالى الله مرجع أمره.

ثالثًا: سنن المنافقين كثيرة، ومن أبرزها التشكيك في الثوابت والمحكمات الدينية، ونشر الأراجيف والأكاذيب، وإثارة الفتن بين المؤمنين، والهرب من مواجهة المحن التي تصيبهم. كما تشمل سننهم: التعويق، الشح، الخوف، وسلطة اللسان. النفاق يعد مرضًا خطيرًا يهدد الأمة، وخطورته على المنافق نفسه أعظم، إذ يُحبط عمله ويصير في أسفل درك النار إذا كان نفاق اعتقاد لا نفاق عمل. وقد حددت سورة الأحزاب سنة الله في المنافقين، وهي الطرد من رحمة الله وتسلط العذاب عليهم إذا لم يتوقفوا عن آذى المؤمنين، ويكون مصيرهم نهايات مأساوية. هذه سنة الله، ولا يستطيع أحد أن يبدلها أو يغيرها.

رابعًا: من سنن الله في المؤمنين الابتلاءات، التي تهدف إلى تمحيص الخبيث من الطيب، وإصلاح الأعمال وتصحيح الأقوال، ودعاء الله لهم بالرحمة والمغفرة، واستغفار الملائكة لهم. فإذا ثبت المؤمنون على إيمانهم، وأخذوا من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم قدوة لهم، وأصروا على التمسك بالحق، نصرهم الله نصرًا عظيمًا.

خامسًا: الأمانة هي سنة الله في التكليف، التي حملها الخلق أجمعين. من أداها على أكمل وجه فاز وأفلح، ومن ضيعها خسر وانهمز.

سادسًا: من سنة الله تعالى في تشريع الأحكام، إبطال العادات الجاهلية الراسخة التي تخالف مقاصد الشريعة، مثل إبطال عادة التبني (كما في قصة زيد بن حارثة رضي الله عنه) وعادة الظهار. وهذا يرسخ مبدأ أن المرجعية العليا هي للوحي الإلهي، وأنَّ الأحكام الشرعية تأتي لتصحيح المسار الاجتماعي والأخلاقي، وتؤكد على وحدة القصد والغاية في القلب وعدم ازدواجية المرجعيات، حيث "ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه". **سابعًا:** سنة عاقبة القول السديد ونتائجها هي أن تقوى الله تعالى ومراعاة الحق في الأقوال (القول السديد) تؤدي مباشرة إلى صلاح الأعمال ومغفرة الذنوب للمؤمنين. وهذا يؤسس لمنهج تربوي متكامل، حيث أن الحفاظ على اللسان وإتقان مهارات الاتصال الإيجابية (القول السديد) هو بوابة الإصلاح الشامل للفرد والمجتمع، بعكس المنافقين الذين يتبعون الأراجيف وسلطة اللسان.

ثامناً: ثبتت سنة التمكين والتفضيل للمؤمنين الصادقين الذين يلتزمون بعهدهم مع الله (كقصة رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه). هذه السنة تؤكد أن الوفاء بالعهود والصدق هما أساس التميز، وأن التضحية والوفاء بالنذر يُكتب لها القبول الأبدي، وأن الله يجازي الصادقين بصدقهم وينتقم من المنافقين الذين يخلفون وعودهم وعهودهم.

التوصيات:

أولاً: أوصي بالاهتمام بإجراء دراسة معمقة للسنن الإلهية في القرآن الكريم، وربطها بالواقع المعاصر الذي نعيشه، بما يساهم في تحويل تلك السنن إلى برنامج عملي يمكن تطبيقه في حياتنا اليومية.

ثانيًا: أوصي الباحثين ممن يجمعون بين التخصص العلمي الدقيق وعلوم القرآن بأن يتوجهوا لدراسة السنن الإلهية المتعلقة بالكونيات بشكل خاص؛ لأن ذلك يوفر أدلة علمية تدعم حقيقة أن القرآن الكريم هو وحي إلهي وليس من اختراع البشر.

ثالثًا: أوصي بضرورة تضمين السنن الإلهية كنماذج عملية ضمن مناهج التربية الإسلامية في مراحل التعليم المختلفة (العام والجامعي).

رابعًا: أوصي بالاهتمام بإجراء دراسات معمقة تركز على (سنّة العدالة) كما وردت في سورة الأحزاب، خاصة في سياق تنظيم العلاقات الاجتماعية وحقوق الفئات المختلفة (كالزوجات والأقارب).

خامسًا: أوصي بإفراد دراسات وأبحاث لتفعيل (سنّة القول السديد) -سورة الأحزاب: ٧٠- كمنهج أخلاقي وقانوني لضبط ممارسات الأفراد في العصر الحديث، خاصة في ظل انتشار وسائل التواصل الاجتماعي.

سادسًا: أوصي بإفراد دراسات مقارنة بين السنن الإلهية في سورة الأحزاب (التي تركز على التمحيص الداخلي للمجتمع المؤمن)، والسنن الواردة في سور أخرى (كسورة الأنفال أو آل عمران) التي تركز على التمحيص أثناء القتال والمواجهة المباشرة؛ للوصول إلى نظرية متكاملة للسنن الإلهية في بناء الأمة والمجتمع.

صادر البحث

✻ القرآن الكريم

١. ابن حجر (أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الكتب العلمية ببيروت: ط١: ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.
٢. ابن حنبل (أحمد بن حنبل: ت ٢٤١ هـ)، المسند، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون: إشراف د عبد الله بن عبد المحسن التركي: مؤسسة الرسالة: ط١/١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
٣. ابن منظور (محمد بن مكرم: ت: ٧١١ هـ)، لسان العرب، دار صادر ببيروت، ط٣/١٤١٤هـ.
٤. أبو السعود، محمد بن محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
٥. أبو داود (سليمان بن الأشعث: ت ٢٧٥ هـ)، سنن أبي داود، تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، د/ط، د/ت.
٦. الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢ هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية دمشق بيروت، ط١/١٤١٢هـ.
٧. الآمدي، سيف الدين علي بن أبي علي (ت: ٦٣١ هـ)، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي ببيروت.
٨. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله (ت ٢٥٦ هـ)، صحيح البخاري، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير ببيروت، ط١/١٩٨٧م.
٩. بكار الحاج جاسم، سنن الطبيعة والمجتمع في القرآن الكريم "دراسة تأصيلية تطبيقية"، دار النوادر بدمشق، ط١/٢٠١٢م.
١٠. البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر (ت ٦٩١ هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي ببيروت، د/ط، د/ت.
١١. الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى (ت ٢٧٩ هـ)، سنن الترمذي، مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة، ط٢/١٩٧٥م.
١٢. الحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله (ت: ٤٠٥ هـ)، المستدرک على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ببيروت، ط١/١٤١١هـ/١٩٩٠م.
١٣. الخطيب، شريف الشيخ، السنن الإلهية في الحياة الإنسانية وأثرها في الإيمان بها، أطروحة دكتوراه منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية.
١٤. الرازي، محمد بن عمر أبو عبد الله (ت ٦٠٦ هـ)، مفاتيح الغيب، دار الفكر بيروت، د/ط، د/ت.
١٥. الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت ٥٢٨ هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق محمد عبد السلام شاهين: دار الكتب العلمية بيروت: ط١: ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
١٦. الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر بيروت، ١٩٨٤م.
١٧. عقيل حسين، سنن التدافع، بيروت، شركة الملتقى، ط١، ٢٠١١.
١٨. عيساوي عادل بن بوزيد، فقه السنن الإلهية ودورها في البناء الحضاري، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
١٩. العيني أبو محمد محمود بن أحمد بدر الدين (ت: ٨٥٥ هـ)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي ببيروت.

٢٠. الفيروزآبادي (محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧هـ)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ولجنة إحياء التراث الإسلامي بالقاهرة.
٢١. القسطلاني (أحمد بن محمد شهاب الدين (ت: ٩٢٣هـ)، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، المكتبة التوفيقية بالقاهرة.
٢٢. محمد أبو شهبه، الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، عالم المعرفة بجدة، ١٤١٣هـ/١٩٨٣م.
٢٣. محمد الطاهر ابن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر بتونس، د/ط، د/ت.
٢٤. مسلم بن الحجاج (ت ٢١٦هـ)، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ببيروت، د/ط، د/ت.
٢٥. الهيثمي (أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي بالقاهرة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
٢٦. وهبه الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر بدمشق: ط٤.

هوامش البحث

- (١) انظر: الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية دمشق ببيروت، ط ١/١٤١٢هـ. ٢٤٥، والفيروزآبادي (محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ولجنة إحياء التراث الإسلامي بالقاهرة، ٢٦٧/٣.
- (٢) ابن منظور، محمد بن مكرم (ت: ٧١١هـ)، دار صادر ببيروت، ط ٣/١٤١٤هـ، ١٣/٢٢٥.
- (٣) الأمدي، سيف الدين علي بن أبي علي (ت: ٦٣١هـ)، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق عبد الرزاق عفيفي، المكتبة الإسلامية ببيروت، ١٥٦/١.
- (٤) الدكتور محمد أبو شهبه، الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، عالم المعرفة بجدة، ١٤١٣هـ/١٩٨٣م، ١٦.
- (٥) الدكتور وهبه الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر بدمشق: ط٤، ١/٥٢.
- (٦) بكار الحاج جاسم، سنن الطبيعة والمجتمع في القرآن الكريم "دراسة تأصيلية تطبيقية"، دار النوادر بدمشق، ط ١/٢٠١٢م، ١٩.
- (٧) أخرجه مسلم بن الحجاج (ت ٢١٦هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ببيروت، د/ط، د/ت، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد، رقم الحديث ٤٠٨.
- (٨) أخرجه الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة، ط ٢/١٩٧٥م، أبواب الفتن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في لزوم الجماعة. وقال: "هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ". رقم الحديث ٢١٦٧.
- (٩) البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر (ت ٦٩١هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: البيضاوي، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي ببيروت، د/ط، د/ت، ٣٣/٢.
- (١٠) الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر ببيروت، ١٩٨٤م، ١٠٢/٧.
- (١١) قاله عبد الله بن رواحة رضي الله عنه، انظر: القسطلاني أحمد بن محمد شهاب الدين (ت: ٩٢٣هـ)، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، المكتبة التوفيقية بالقاهرة، ٥٧٩/٢.
- (١٢) أخرجه الترمذي في سننه: أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب. وقال: "هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ". رقم الحديث ٣٦٤٨.
- (١٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الفضائل، باب طيب رائحة النبي ﷺ، ولين مسه والتبرك بمسحه، رقم الحديث ٢٣٣٠.
- (١٤) أخرجه البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله (ت ٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير ببيروت، ط ١٩٨٧م، كتاب أحاديث الأنبياء صلوات الله عليهم، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم الحديث ٣٤٥٥. وقوله فوا: "بِالصَّحاحِ أَمْرٌ لَجَمَاعَةٍ مِنْ وَفَى يَفِي، وَالْأَمْرُ مِنْهُ: فِ، فِ، فِ، فِ، وَأَصْلُهُ: أَوْفُوا، وَأَصْلُهُ أَوْفُوا، نَقَلْتُ حَرْكَهَ الْيَاءِ إِلَى مَا قَبْلَهَا، فَالْتَقَى سَاكِنَانِ فَحُذِفَتِ الْيَاءُ فَصَارَ أَوْفُوا، ثُمَّ حُذِفَتِ الْوَاوُ اتِّبَاعًا لِحَذْفِهَا فِي الْمُضَارِعِ لَوْقُوعِهَا بَيْنَ الْيَاءِ وَالْكَسْرِ، فَصَارَ: أَوْفَا، ثُمَّ حُذِفَتِ الْهَمْزَةُ لِاسْتِغْنَاءِ عَنْهَا، فَصَارَ: فِ، عَلَى وَزْنِ: عَوَا".
- العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بدر الدين (ت: ٨٥٥هـ)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي ببيروت، ٤٣/١٦.
- (١٥) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير سورة الأحزاب، باب النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، رقم الحديث ٢٣٩٩.

- (١٦) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الدعوات، باب لكل نبي دعوة مستجابة. رقم الحديث ٦٣٠٥.
- (١٧) أخرجه الترمذي في سننه: أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب في القيامة، رقم الحديث ٢٤١٧. وقال: "هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ الْحُسَيْنِ بْنِ قَيْسٍ، وَحُسَيْنُ بْنُ قَيْسٍ يُضَعَّفُ فِي الْحَدِيثِ مِنْ قَبْلِ حِفْظِهِ".
- (١٨) أخرجه أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ)، المسند، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، إشراف د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١/١٤٢١هـ/٢٠٠١م، المسند: مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رضي الله عنها، رقم الحديث ٢٤٦٠١. قال الشيخ شعيب الأرنؤوط محقق الكتاب ومخرج أحاديثه: "حديث صحيح، وهذا إسناد فيه انقطاع، الحسن - وهو البصري - إنما سمعه من سعد بن هشام عن عائشة...، وبقيته رجاله ثقات رجال الشيخين".
- (١٩) حديث طعام جابر أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي: باب غزوة الخندق، رقم الحديث ٤١٠١.
- (٢٠) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي: باب غزوة الخندق، رقم الحديث ٤١٠٤.
- (٢١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة، رقم الحديث ٢٥٨٩.
- (٢٢) انظر: بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١/١٥٤.
- (٢٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الرقاق، باب التواضع، رقم الحديث ٦٥٠٢.
- (٢٤) انظر: ابن حجر، أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الكتب العلمية ببيروت، ط١/١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ٣٤٢/١١.
- (٢٥) أخرجه أحمد في المسند: مسند أبي هريرة، رقم الحديث ٩٦٢٤. وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: "حسن لغيره، وقد خولف ابن عجلان في إسناد هذا الحديث، فقد رواه الليث بن سعد، عن سعيد المقبري، عن بشير بن الحر، عن سعيد بن المسيب، مرسلاً، ورجحها البخاري في "التاريخ" ١٠٢/٢، والدارقطني في "العلل" ٨/١٥٣، فإن الليث أصح الناس روايةً عن المقبري، وأما ابن عجلان فيقع له في أحاديثه عن سعيد المقبري بعض الأوهام، لكن للحديث متابعات وشواهد تنهض به إلى التحسين".
- (٢٦) لم أذكر جميع الآيات هنا، راجع هذه المسألة في سورة الأحزاب الآيات من ٢٨ إلى ٣٤.
- (٢٧) أخرجه الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت: ٤٠٥ هـ)، المستدرک على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ببيروت، ط١/١٤١١هـ/١٩٩٠م، كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، ذكر سلمان الفارسي ﷺ. رقم الحديث ٦٥٣٩. وقال الهيثمي: "رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ، وَفِيهِ كَثِيرٌ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزَنِيِّ، وَقَدْ ضَعَّفَهُ الْجُمُهُورُ، وَحَسَنَ التِّرْمِذِيُّ حَدِيثَهُ، وَبَقِيَ رِجَالُهُ ثَقَاتٌ". الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧ هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي بالقاهرة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ٦/١٣٠.
- (٢٨) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب اللباس والزينة، باب التواضع في اللباس، رقم الحديث ٢٤٢٤.
- (٢٩) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب النكاح، باب فضيلة إعتاقه أمته ثم يتزوجها، رقم الحديث ١٣٦٥.
- (٣٠) أخرجه الترمذي في سننه: أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب مناقب أهل بيت النبي، رقم الحديث ٣٧٨٨. وقال: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ".
- (٣١) انظر: الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت ٥٢٨ هـ)، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق محمد عبد السلام شاهين: دار الكتب العلمية ببيروت: ط١: ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م، ٢/٢٧٦.
- (٣٢) أخرجه أبو داود سليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥ هـ)، سنن أبي داود، تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، د/ط، د/ت، كتاب الزكاة، باب في الشح، رقم الحديث ١٦٩٨. وأخرجه الحاكم في المستدرک وقال: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ". المستدرک على الصحيحين، كتاب الزكاة، باب إياكم والشح، رقم الحديث ١٥١٦.
- (٣٣) انظر: الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ٣/٣٠٠.
- (٣٤) انظر: الرازي، محمد بن عمر أبو عبد الله (ت ٦٠٦ هـ)، مفاتيح الغيب، دار الفكر ببيروت، د/ط، د/ت، ٢٥/١٨٤.
- (٣٥) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب، رقم الحديث ١٧٨٨.
- (٣٦) أبو السعود، محمد بن محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج ٨، ص ١٤.

- (٣٧) عقيل حسين ، سنن التدافع، بيروت، شركة الملتقى، ط ١ ، ٢٠١١ م ، ٣٣٢-٣٣٧ ، عيساوي عادل بن بوزيد، فقه السنن الإلهية ودورها في البناء الحضاري ، قطر ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط ١ ، ٢٠١٢ ، ص ٦ .
- (٣٨) الخطيب، شريف الشيخ، السنن الإلهية في الحياة الإنسانية وأثرها في الإيمان بها، أطروحة دكتوراه منشورة ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية، ١٩٨٩م، ص ٥٠٩ .
- (٣٩) الدروبي، أحمد عبد الله، منهجية الإصلاح في دعوات الرسل : مرجع سابق، ص ٢١٩، زواقة، بدر الدين وآخرون منهج النبي ﷺ في التغيير والإصلاح، أعمال المؤتمر الدولي: آفاق العمل الإسلامي المعاصر وضوابطه ، الجامعة الإسلامية بغزة، ٢٠١٤ ، ص ٢٩٣ .
- (٤٠) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب مناقب الأنصار، باب دعاء النبي ﷺ: أصلح الأنصار والمهاجرة، رقم الحديث ٣٧٩٦ .
- (٤١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب، رقم الحديث ٢٧٣٢ .
- (٤٢) أخرجه أحمد في المسند: مسند أبي سعيد الخدري ، رقم الحديث ١٠٩٩٦ . وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: "إسناده ضعيف".
- (٤٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي: باب غزوة الخندق، رقم الحديث ٤١١٥ .
- (٤٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي: باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب، رقم الحديث ٤١٢٢ .
- (٤٥) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره، رقم الحديث ٧٨٣ .
- (٤٦) أخرجه الترمذي في سننه: أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في حفظ اللسان، رقم الحديث ٢٤٠٧ . وقال: "هَذَا حَدِيثٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ، وَقَدْ رَوَاهُ غَيْرُ وَاحِدٍ عَنْ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ وَلَمْ يَرْفَعُوهُ".
- (٤٧) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، رقم الحديث ٦٤٧٨ .
- (٤٨) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب أحاديث الأنبياء صلوات الله عليهم، باب، رقم الحديث ٣٤٧١ .
- (٤٩) وعلل ابن عاشور ذلك بأنه كان للنساء شأن في حوادث غزوة الخندق من إعانة لرجالهن على كيد المسلمين، وبعبس ذلك حال نساء المسلمين. انظر: محمد الطاهر ابن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر بتونس، د/ط، د/ت. ١٣٢/٢٢ .